لماذا لا ننكف عن المعاصي؟!

إن الحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الناظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يجده قد رتب فيه حُصُول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور فيهما أيضًا على الأعمال، وهذا يعني أن الجزاء في الدنيا والآخرة سواء كان بالخير أو بالشر يكون نتيجة ما قام به الإنسان من أعمال.

_وقدذُكِرَ هذا الأمر في أكثر من ألف موضع (ترتيب الجزاء على الأعمال)

قال جلَّ ذِكره:

{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)}

[الأعراف]

▪قالها سبحانه: في شأن اليهود عندما عصوه فتكبروا وتجبروا وامتنعوا عن الإذعان لأوامره سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: { فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) }

[الزخرف]

أي: أنهم عندما أغضبوا ربهم انتقم منهم، فحين يشتد غضب الرب على العباد فإنه ينتقم منهم، فبأي شيء يشتد الغضب؟

بكثرة المخالفة والعيان والإعراض والإصرار على عدم الإذعان، فكل هذه أمور يترتب عليها غضب الله عز وجل.

وقال تبارك وتعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) } [المائدة]

فالسارق والسارقة لهما عقوبة، فإذا ما قيل لماذا لا نستخدم معهم أي عقوبة أُخرى غير قطع اليد؟

يعلم الله عز وجل أن هذه العقوبة هي التي تُناسبها وتؤدي إلى ردعهم، فلو لم تُقطع اليد لتعددت سرقات هذا الشخص ولتمادى في إيذائه لغيره، أما لو طبقنا شرع الله وقُطعت يد السارق ولو لمرة واحدة لعلمت الدنيا كلها بهذا ولكان في تطبيق العقوبة رادعًا لغيره من العُصاة الذين ينتوون

القيام بمثل هذه المعصية، وبالتالي لا تقع ولكن الذي جعل هذا الأمر ينتشر ويتمادى فيه مَن يقوم به هو عدم تطبيق شرع الله و تنفيذ العقوبة

قال سبحانه في شأن الطائعين: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)}

[الأحزاب]

فرتب الجزاء على الأعمال الصالحة، من الخطوة الأولى (الإسلام)

-فالإسلام له أجر: وهو أجر التوحيد،فمهما عمل العبد من ذنوب ومعاصي ثم مات على التوحيد بصدق (وإن لم يعف عنه الله سبحانه ابتداءً وأُدخِل النار بقدر ما وقع منه من ذنوب وآثام عقوبةً له) فإنه سيخرج إلى الجنة وهذا هو فضل التوحيد وفضل كلمة لا إله إلا الله.

ثم قال سبحانه: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}

والإسلام غير الإيمان عند الكثير من أهل العلم، فهذا له مرتبة وهذا له مرتبة أُخرى.

_{وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ}:وهم الذين انقطعوا للعبادة،فالقنوت:يعني طول العبادة،فهؤلاء انقطعوا لعبادة الله الواحد الأحد وعاشوا حياتهم لله ثم تتابعت الصفات إلى أن وصل إلى ما أعد الله لهم من جزاء.

_فقال عز وجل:{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}

إذن هناك مغفرة رغم أنهم مسلمين ومؤمنين وقانتين وعابدين واجتمعت فيهم من صفات الخير الكثير ولكنهم بشر وليسوا معصومين من الخطأ والزلل والله عز وجل يعفو ويتجاوز ويغفر ويمنح الأجر العظيم.

_قال الحق تبارك وتعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)}[الأنفال]

يُوضح أن نتيجة التقوى هي المغفرة وتكفير الذنوب فالعبد التقي يُكفر الله عنه ذنوبه وسيئاته ويجعل له فرقانًا في أمره.

▫وهذه الجزئية لنا فيها وقفة:

فإذا كان الشخص في حيرة من أمره في مسألة ما أو يصعُب عليه الوصول إلى حل قضية ما، فعليه أن يعلم أن هناك خلل في التقوى.

_الفرقان المقصود في الآية: ومن ثمرات التقوى حصول الفرقان بين الحق والباطل.

▪مثال:شخص يذهب لحضور مجالس العلم هنا وهناك فيسمع أحيانًا كلاما يُخالف بعضه بعضا ولا يقدِر أن يُميز بين الصواب والخطأ ، فعدم القُدرة هذه على تمييز الحق من الباطل تشير إلى وجود خلل في التقوى، فتقوى الله تجعل للعبد فرقان بين الحق والباطل فيأتيه التوفيق من عند الله ، وهذه هي ثمرة التقوى التي يتفضل الله به على العبد.

_ومَن لم يجعل الله له فرقانًا في الدنيا فلن يُفلح في الآخرة لأنه يعبد الله على غير بصيرة فهو لا يدري إن كان مقيمًا على البدعة أم على السنة، ونحن نرى الحرب الشرسة ضد أهل السنة والجماعة لتشويه منهجهم ولن يتحقق لهم ما يسعون إليه بإذن الله ولكن الحرب قائمة لا تنتهي لمحو منهج الحق وإحلال الضلالات بدلًا منه، وهذه فتن يقع فيها مَن ليس لديه تقوى.

_بالفرقان ينجو الإنسان في الدنيا من الضلال والبدع والأهواء وسينجو في الآخرة من عذاب الله ويدخل الجنة .

وقال عزَّ وجل:

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)}

[آل عمران]

أي أن: ما يجده الإنسان من شقاء وعناء يكون بما قدمته يداه.

ويقول سبحانه:

{ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢)}[يونس]

وفي قصة يونس عليه السلام عندما خرج من قريته وترك قومه وتوجه إلى البحر فركبه ثم كان في السفينة من الأحداث ما كان فألقى أصحاب السفينة به عليه السلام في البحر فالتقمه الحوت ومكث في بطنه وقت،فما الذي حدث؟

بأسباب الدنيا ونتائجها المفروض أن هذا الشخص يهلك وهذه هي النتيجة الحتمية لابتلاع الحوت له ولكن الحاصل أنه ظل يُسبِّح ويستغفر ربه سبحانه: { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)}

[الأنبياء]

فَرُتِّبَ على هذا التسبيح جزاءً ألا وهو إنقاذه من الموت قال تعالى:

{ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)}[الصافات]

فجعل التسبيح هو سبب نجاته وإلا لأصبحت بطن هذا الحوت قبرًا ليونس عليه السلام إلى يوم البعث.

▪لماذا بدأت الدرس بهذه المقدمة الطويلة؟

☜حتى نصل إلى إجابة لهذاالسؤال"لماذا لا ننكف عن المعاصي؟ "
فإذا ما وصلنا إلى أسباب ذلك فإننا نكون قد وصلنا إلى منتصف الطريق ثم نستطيع بفضل الله سبحانه وبتوفيقه أن نصل إلى نهاية الطريق بتوضيح سُبل الهداية.

▪أسباب عدم الانكفاف عن المعاصي:

١_مغالطة النفس:وهذا من أخطر الأسباب وقد يغفل عنه أصحاب العلم فضلًا أن يعلمه عوام المسلمين، فقد يكون شيخًا وقطع باعًا في العلم وله قدمًا راسخة فيه وبالرغم من كل ذلك يقع في هذه المسألة فكيف بالعوام.

مثال:شخص يعي تمامًا أن هذا الفعل الذي ينوي القيام به معصية ومع ذلك يستمع إلى حديث نفسه التي تقول(ليس الآن_ليس إلى هذه الدرجة_ليس كما تعتقد_ هذا تشدد) أي حجة تُعطي لصاحبها رخصة للتمادي في الخطأ، المهم أن تستذله وتسحبه إلى مستنقع المعصية، فحين تتحدث النفس بهذه الكلمات لصاحبها تكون بداية المُغالطة،وعلى صاحبها إذا شعر بهذا أن يتوقف ولا يتحرك،لأنه إذا تحرك في اتجاه مجاراتها والخضوع لها والانسياق فسيسقط في المعصية ولن يتوب عنها إطلاقًا.

▫مثال:دار حديث بين اثنين وظهر في هذا الحديث شيء من الكبر في الأسلوب أو في الدفاع عن النفس، فإذا فكر الإنسان فيما حدث بينه وبين نفسه وأراد أن يلوم نفسه على ما صدر منها فإنها ترد عليه أن هذا ليس كبرًا ولكن الموقف فرض هذا لأن الشخص الآخر بدأ باستفزازي أو فعل شيئًا جعلني أغضب وكان هذا هو الرد المناسب، فيبدأ الإنسان بعد أن كان يلوم نفسه يتراجع ويرى أنه على صواب فالكبر ليس من طبعه ولكنها مرة حدثت في موقف ولن تتكرر(هذا حوار يدور بين النفس وصاحبها إلى جانب أن الشيطان هو الآخر يقوم بعمله من النزغ) فإذا تمادى معها فلن يكون هناك علاج للكبر بعد ذلك.

وهذا هو مثل بسيط جدًا لشيء قلَّ مَن يلتفت إليه ويُقاس على ذلك المعاصي التي تخُص القلوب والتي تخفى عن الكثير، فما بالنا بمعاصي الأبدان الكثيرة.

_فإذا اغتاب شخصًا آخر فإنه يدور نفس الجدل: هذه غيبة، ومَنْ قال هذا أنا كنت أروي موضوع ولم أقصد الغيبة.

الأم عندما تتكلم عن أبنائها إذا قيل لها انتبهي لأن هذه غيبة فإنها تقول:هؤلاء أولادي وأنا لا أرى أني بذلك قد اغتبتهم فالأولاد ليس لهم غيبة(مغالطة النفس)،ولو أنها جادلت في ذلك أمام الناس فلها مُبررها لأن الإنسان لا يريد أن يظهر في صورة المخطئ أمام الناس ولكن فيما

بينها وبين نفسها هل ستعترف أنها أخطأت بالطبع لن تُحاسب نفسها عن هذا الخطأ، هذه الأم اغتابت أبنائها وسوف تُسأل عن ذلك يوم القيامة بين يدي الله سبحانه.

هذا من أخطر الأسباب بل هو أخطرها على الإطلاق في جعل الإنسان لا ينكف عن الوقوع في المعاصي (مغالطة النفس)

فإياكم منها..

لأنها من ضمن أعداء الإنسان(النفس الأمارة بالسوء_الشيطان العدو المضل المبين)فلا تجعلوهما يتحدان عليكم.

▪يدخل في هذه الجزئية عُنصر آخر:

وهو الاستدلال ببعض النصوص التي لا تُفهم على الوجه الصحيح منها....

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ،قَالَ: " أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ،فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ

ذَنْبًا، فَعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ»،

أخرجه مسلم(٢٧٥٨)

يأخذ البعض هذه النصوص ويتكلون على ما بها من ذكر لسعة رحمة الرب وعفوه فيتهاونون في ارتكاب المعاصي ويعتمدون على أن الله عز وجل يغفر ذنوب العبد مهما صدر منه.

٢_ التعلُّق بالجبر:

يوجد فرقة من الفرق الضالة تعتقد أنها مجبرة على ما هي فيه، فالطائع مجبر على الطاعة ويسرها الله له وأجبره عليها بدون أسباب أيضًا، والعاصي أيضًا مدفوع إلى المعصية والله عز جل وضعه على طريقها وأجبره عليها بدون أسباب، فالإنسان من وجهة نظر هؤلاء هو عبارة عن آلة ليس لها إرادة في حركاتها وسكناتها، هذا الضلال وهذه العقيدة الفاسدة بالفعل موجودة بيننا ويعتنقها الكثير.

▫فكيف تتولد عقيدة الجبر عند الناس؟

ولنأخذ طالب العلم كمثال للبيان:

_ قد يُحاول طالب العلم ترك الذنب مرة ومرات فلا يستطع، فيأتي دور الشيطان فيقول له: لن تستطيع ترك الذنب لأنك تُجاهد منذ أشهر وقد يكون منذ أعوام ولكنك لم تقدر على ذلك ولم تتغير إذن هذا مكتوب عليك ولن يتغيَّر والدليل على ذلك أن الله سبحانه كتب مقادير الخلائق وكل شيء قبل خلق السماوات والأرض، وما كتب في اللوح المحفوظ أنك ستكون هكذا فيجب عليك أن تظل هكذا.

▪هذا ضلال مبين:لأن هذا من أظلم الظلم الذي يُعاقب الإنسان عليه بعد الشرك بالله،حيثُ أنه يُظن بربه هذا الظن السيئ(وهو أن الله سبحانه قد أجبر البعض على المعصية وحال بينه وبين التوبة ومنعه منها) وهذا من مداخل الشيطان الرهيبة والنفس الأمارة بالسوء،هذا الأمر يحدث خاصةً لطالب العلم الذي مرَّ عليه سنوات طويلة وهو يُجاهد ولا فائدة من ذلك،فهو مازال يقف عند درجة معينة لا يستطيع أن يتخطاها..

_فيبدأ في داخله (وإن لم يتكلم)اعتقاد أن هذا هو حاله وليس هناك أمل في الإصلاح وهو مُجبر على ذلك، وبالتالي فإنه يستمر على ما هو فيه من المعاصي والذنوب لاعتقاده أنه مجبر على هذا الشيء.

٣_التعلق بالإرجاء:

وقد سبق أن بيَّنا مَنْ هم المرجئة فهم الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، فقالوا أن الإيمان قول بلا عمل، وهم فرق عديدة تختلف عقائدهم

وغلاتهم يقولون :أن الإنسان يدخل الجنة من غير عمل على الإطلاق، فأصل الإيمان عندهم هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله مهما صدر من المسلم ذنوب فهو في الجنة، وهذا هو حال أكثر المسلمين فهم يظنون أنهم سيدخلون الجنة من غير عمل لأن الله غفور رحيم.

▫والدليل على هذا يتضح عندما: يدور حوار بين أحد العوام القائم على معصية ما ومسلم آخر يحاول أن يدعوه إلى التوبة

فيقول الداعي: لماذا لا تكُف عن الربا (مثلًا) ؟

يقول العاصي :أنا أعرف أن هذا حرام ولكن ادع الله لي، أوإن شاء الله ولكن بعد أن أُزَوّج أولادي، أو ربنا يتوب علي، فإذا كان هذا العاصي لديه يقين أن هذا معصية وقد تكون من الكبائر فما الذي يمنعه من أن يتوب؟

▫السبب هو الإرجاء: فيقول هذا العاصي أن الله غفور رحيم، فالله يعلم أن الظروف هي التي أجبرتني على أخذ الربا،هذا الشخص يعطي أسباب ليُبرر لغيره لماذا وقع في الكبيرة، في حين أننا لو نظرنا إلى حقيقة الحقيقة لوجدنا أن الأسباب ليست هي الدافع وراء وقوعه في الكبيرة(إياكم أن تعتقدوا أن الشخص الذي وقع في معصية الزنا أنه وقع فيها لأنه لا يستطيع أن يجد المال الذي يتزوج به ويُحصِّن نفسه) فسبب الوقوع في

الكبيرة هوتعلق القلوب والعقول بالإرجاء وليس هناك دوافع أخرى لارتكابها

▪فما هو الدليل على ذلك؟

أن هناك أُناس آخرين يعيشون معهم نفس حياتهم وتتماثل ظروفهم ومع ذلك لم يتجرؤوا على فعل ما فعل الآخرين من الوقوع في الكبائر(كم من امرأة لا تجد مَن يعولها ومع ذلك لا تلجأ إلى الربا لتنفق على نفسها_كم من شاب لا يجد نفقات للزواج ومع ذلك لا يذهب ليُشبع شهوته بالحرام) وهكذا في كل ذنب، والفرق بين مَن يقع في الذنب وبين مَن لا يقع فيه أن هذا مؤمن وهذا مرجئ (الفرق بين الإيمان والإرجاء) قضية في غاية الخطورة لا يلتفت إليها أحد.

٤_الاغترار بغنى الله عن العذاب: وهذا أيضًا من مداخل الشيطان،فهناك من البشر مَن لديهم حس رقيق مُرهف إذا سمع عن الله وأسمائه(الرحمن_الرحيم_العفو)الأسماء الدالة على صفات الجمال يكون حبه من هذا المنطلق وهذه المحبة بهذا الوصف فيها خلل، هذا النوع من البشر يمكن أن يقع في المعصية من هذا الاتجاه.

المقصود:أنه يعتقد أن الله غني عن عذاب العاصي،وأن الله هو العظيم الكبير رب السماوات السبع والأراضين السبع، العلي الأعلى الملك، فلماذا يُعذب عبده وهو المخلوق الحقير الموجود ضمن ملايين ملايين المخلوقات؟

هذا الكلام يدُل على وجود خلل لدى هذا الإنسان في رؤيته لحكمة الله سبحانه في العذاب وخلل أيضًا في عدم تصديق ما جاء في كتاب الله.

_حقًا:أن الله سبحانه غني عن عذاب البشر وعن العالمين، ولكن من كمال عدله أن يُعذب مَن ارتكب المعاصي وأن يُنعِّم مَنْ أطاع، هذا من كمال العدل الذي يتصف به الله عز وجل وبالتالي فإنه سبحانه لا يترك الناس سدى ولا هملًا لأن هذا يُنافي العدل ويُنافي صفات الله.

٥_الاغترار بالفهم الفاسد لنصوص الكتاب وسنة النبي ﷺ:

وما أكثر هؤلاء الذين يعتقدون أن الآيات لها ظاهر ولها باطن،فالتفسير بالنسبة لهؤلاء يأتي حسب أهوائهم.

قال تعالى:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)}[الضحى]

فيقول هؤلاء: أن الله عز وجل سوف يُعطي نبيه ﷺ حتى يرضى ولن يرضى النبي ﷺوأحد من أمته يُعذَّب في النار،وللنبيﷺالشفاعة.

▣الرد : ولكن الشفاعة لأهل الكبائر من أمته والشفاعة درجات، فيشفع لخلق فلا يدخلون النار وقد كانت واجبة عليهم وهذا النوع فيه نزاع بين

أهل العلم، وسيشفع لخلق آخرون دخلوا النار بالفعل حتى يخرجوا منها، والأحاديث الدالة على هذا الأمر كثيرة جدًا لا يتسع المقام لذِكرها.

▪الشاهد : من هذه الأحاديث أن النبي ﷺ سيشفع لهم حتى يُخرجهم من النار بعد أن دخلوها فعلًا.

▪إذن: كيف تذكر الأحاديث شفاعة النبي ﷺ في أناس قد دخلوا النار بالفعل وهم من أهل التوحيد ثم يأتي علينا زمان يُفسر فيه البعض هذه الآية على أن رضا النبي ﷺ لن يكون إلا إذا لم يدخل أحد من أمته النار.

▪الصحيح:هو أن رضاه ﷺفي أن لا يُخلَّد أحد من أمته في النار، فما مِن أحد من أمة الرسول ﷺ مات على التوحيد الصحيح وليس على النفاق العقدي، غير شاك في لا إله إلا الله ويُخلَّد في النار، فحتى لو دخلها فإنه سيخرج منها(هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة) ولكن سيدخل أُناس النار ويُعذَّبون بقدر ما ارتكبوه من الذنوب ثم يخرجوا منها،هؤلاء الناس منهم(المصلين_الحجاج_الصائمين_قائمين بالطاعات على اختلاف صورها) والأحاديث الدالة على هذا الأمر كثيرة جدًا

ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ،

وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ"

أخرجه البخاري(٧٤٣٩)

▪مثال آخر للفهم الفاسد للسنة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«صَوْمُ عَرَفَةَ كَفَّارَةُ سَنَتَيْنِ سَنَةٍ مَاضِيَةٍ وَسَنَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ، وَصَوْمُ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةُ سَنَةٍ»**السنن الكبرى للنسائي(٢٨١٥).**

يأتي شخص من الذين يفسرون النصوص وفق أهوائهم فيأخذ الحديث ويُفسره على أن السنة الماضية من حياته غُفِرت والسنة القادمة يفعل فيها ما يشاء من ذنوب ومعاصي ولا مانع من ذلك فهي مغفُورة له أيضًا (هذا فهمٌ فاسد)هذا الشخص لا يفهم أن أي عمل ذُكِرت له جائزة في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ(ثمرة هذا العمل) لابد أن يتوفر له شروط وتنتفي عنه موانع، وقد يكون المانع من نيل هذه الجائزة هو الإصرار على

الذنب، فالإصرار على المعصية مانع من أخذ ثواب العمل وقد يعفو الله سبحانه،لكن المقصود: هو عدم جواز الاعتماد على ثواب الأعمال والأجور العظيمة وجعله مدخل وسبيل للوقوع في المعاصي والذنوب.

▪الواجب :هو فهم هذه النصوص على الوجه الصحيح والذي لا يعني التجرؤ على فعل المعاصي والذنوب والاعتماد على فعل عمل صالح وعد الله سبحانه وتعالى فاعله بالكثير من الخير.

▪الجزئية التي غفل عنها هؤلاء هي:

عدم وجود ميزان لدى العباد ليزنوا به حسناتهم وسيئاتهم

فقد تأتي حسنة واحدة فتمحو كل ذنب اقترفه العبد مثل..

عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: "يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ:هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ:أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي

كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى: " الْبِطَاقَةُ: الرُّقْعَةُ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَ لِلرُّقْعَةِ: بِطَاقَةً "

سنن ابن ماجة(٤٣٠٠)،سنن الترمذي(٢٦٣٩)

_وقد تأتي سيئة واحدة فتُسقط ما قام به من أعمال صالحة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُبِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»

أخرجه البخاري(٦٤٧٨)

فبما أن الناس لا يعرفون حسناتهم أو سيئاتهم فعلى أي أساس يحكمون أن أعمالهم قد قُبلت أم لا؟

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:" إِنَّ الْبُصَرَاءَ لَا يَأْمَنُونَ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: ذَنْبٌ قَدْ مَضَى لَا يُدْرَى مَا يَصْنَعُ الرَّبُّ ، وَعُمْرٌ قَدْ بَقِيَ لَا يُدْرَى مَاذَا فِيهِ مِنَ الْهَلَكَاتِ ، وَفَضْلٌ قَدْ أُعْطِيَ لَعَلَّهُ مَكْرٌ وَاسْتِدْرَاجٌ ، وَضَلَالَةٌ قَدْ زُيِّنَتْ لَهُ فَيَرَاهَاهُدًى ، وَمِنْ زَيْغِ الْقَلْبِ سَاعَةً أَسْرَعُ مِنْ طَرَفَةِ عَيْنٍ قَدْ يُسْلَبُ دِينَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ "

القضاء والقدر للبيهقي(٥٦٦)

هذا هو حال البُصراء العُقلاء الأتقياء الأنقياء فهم لا يأمنون من أربع خصال

١_ ذَنْبٌ قَدْ مَضَى لَا يُدْرَى مَا يَصْنَعُ الرَّبُّ:

فهل يستطيع أحد منَّا أن يُجزِم بأن كل ما فعله من ذنوب ومعاصي سابقة قد غُفرت له حتى بعد توبته وإنابته وعودته إلى ربه؟

وهل يستطيع أحد منَّا أن يقول أنه حقق التوبة بشروطها وبالتالي غُفِرَت له الذنوب الماضية ؟

مَن يقول هذا لا يفهم ولا يعي أي شيء..

الكل يرجو رحمة الله ومغفرته وفرق بين الرجاء واليقين على المغفرة، يمكن أن نرجو الرحمة والمغفرة والعفو ولكن لا نعمل بمبدأ اليقين الجازم على أنها غُفِرَت لأن هذا خطأ(خلل في الإيمان _وخلل في الفهم عن الله)

٢_ وَعُمْرٌ قَدْ بَقِيَ لَا يُدْرَى مَاذَا فِيهِ مِنَ الْهَلَكَاتِ:

فالماضي لا نعلم هل غُفِرَ ما فيه من معاصي أم لا، والمستقبل لا ندري هل سنستقيم على الطاعة أم لا، وهل سنقع في مشكلة أم لا؟

ولا نضمن كيف سيكون حالنا في المستقبل .

لا أحد يضمن ما هو قادم ولا طرفة عين وإلا لَمَا بكى الصالحون ولا حزن أهل الصلاح والعلم والفضل ما ندموا وما تألموا فهم لا يعلمون شيئًا عن ما تحمله الأيام معها من أقدار، هل سيظلون على الاستقامة ما بقي من أعمارهم أم لا؟ الله سبحانه يُقلب القلوب، فهل سيثبتون على الحق وعلى الصراط المستقيم أم أنهم سيسقطون وتتبدل أحوالهم فيفعلون مثلما يفعل

غيرهم من المعاصي والذنوب، وعلى أي خاتمة سيُقبضون عليها؟ لقد كان أكثر بكاء الصالحين على حُسن الخاتمة فلا أحد يعلم بما سيُختم له.

٣_ وَضَلَالَةٌ قَدْ زُيِّنَتْ لَهُ فَيَرَاهَا هُدًى :

وتلك أيضًا من المصائب العظيمة جدًا وهي أن يُزيَّن الضلال للإنسان فيراه هدى...

قال تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)}[فاطر]

_فيُزيِّن الشيطان للإنسان عمله السيئ(فيزين البدعة فيراها سنة)

فالضلال يتزين للإنسان من قِبل الشيطان والنفس الغافلة والقلب الساهي عن أوامر الله سبحانه فيرى في هذا الضلال هدى فيسير على درب الضلال ويظن أنه على الهدى.

٤_ وَمِنْ زَيْغِ الْقَلْبِ سَاعَةً أَسْرَعُ مِنْ طَرَفَةِ عَيْنٍ:

فقد يسير الإنسان فترة على الاستقامة ثم يجد نفسه فجأة تحول إلى الاتجاه المُعاكس، يُقبِل على القرآن ثم يُعرِّض، فهو ما بين إقبال وإدبار وهكذا يكون حال القلوب فهي تتقلَّب.

هذه الأمور لابد أن ينتبه الإنسان لها دائما حتى لا يهلك بسبب هذه الأمور

٦_الفهم الخاطئ لحسن الظن بالله

حسن الظن له ضوابط وله شروط،حسن الظن بالله هو: أن يقوم الشخص بالعمل ثم يسأل الله الإخلاص والقبول.

_أما الركون إلى الكسل والتهاون في ارتكاب المعاصي وعدم المبالاة وترك النفس بل مراقبة ولا محاسبة وكأن شخصًا آخر هو الذي سيقف بين يدي الله للحسابثم يقول أنه يُحسن الظن بالله، وأنه يقوم القيامة سيكون من الفائزين الصالحين الذين يأخذون كتابهم بيمينهم (هذا ليس إلا سوء ظن بالله)فتصور الإنسان أنه إذا عاش بعيدًا عن شرع الله عاصيًا له، غير ممتثل للأمر ولا مُجتنب للنهي ثم يوم القيامة سيكون من أهل الجنة هذا تصور فاسد وسوء ظنٍ بالله ومن صور الاغترار بالله أيضًا.

▫أما حسن الظن : فهو الذي يصحبه العمل الصالح على كتاب الله ووفق سنة النبي ﷺ.

▫يقول العلماء توصيفًا للإنسان الواقع في الذنوب :

أنه بين أمرين..

بين الكفر الخفي والحُمق الجلي

_أما الكفر الخفي: فهو ضعف إيمان الإنسان بيوم الحساب وقلة معرفته بعظم قدر الثواب.

▪مثال :إنسان ضعيف الإيمان لا يستطيع أن يتصور الأهوال والأحداث والموقف والحشر والنشور والبعث والسؤال والموازين وبالتالي فإنه لا يوجد لديه يقين على حدوثها (ضعف إيمان).

▪قِلَّة معرفته بعظم قدر الثواب:وفي نفس الوقت هو لا يعلم مقدار ثوابه على أعماله في الدنيا واجتهاده في طاعة الله سبحانه، فهو لا يتخيل الجنة ولا النعيم الموجود فيها، ولذلك فإننا نجد رد فعل الناس عند الحديث عنها أنهم يسمعون ما يُقال عليها وكأنها مجرد خيال وليس واقع سيحدث بعد البعث والحساب، وهذا من ضعف إيمان الذي يجعل الإنسان يفتقر إلى الإقبال والنشاط وعلو الهمة على الأعمال،فقيمة الثواب أو قدره ليس واضحًا لديه(فأورث عنده ضعف الهمة –التهاون_الكسل).

_هذا الشخص يتصور عِظَم الثواب والجزاء يوم القيامة على الأعمال في الدنيا، وفي نفس الوقت لا يُقدِّر فداحة العقوبة التي سيلقاها العُصاة

_أما الحُمق الجلي: فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع أنك لا تعتمد على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعها من الخلق بل تتوصل إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل

_فالإنسان الأحمق هو: الذي يعتمد على كرم الله وعفوه وأنه هو الغني عن عذاب البشر فهو الرحيم، هذا حُمق لماذا؟

لأنه قد يكون في نعمة هي في حقيقتها استدراج له، فإذا كان قائم على معصية ومع ذلك يُعطيه الله من نعمه فيظن أنه على خير ويتمادى في غيه، هذا حمق منه لأنه ما التفت إلى أن هذا ربما يكون مكر من الله واستدراج له.

وإذا كان لديك أيها الإنسان يقين عالي على كرم الله وعفوه وإحسانه فلماذا لا تتمتع بهذا اليقين العالي على الرزق ؟

أصحاب المعاصي عند الحديث معهم يقولون أن الله(كريم_عفو_غفور _رحيم_وإن شاء الله سيغفر لنا ولن يُحاسبنا)ويتحدث عن عفو الله ومغفرته وكأنه واعظ من الدُعاة.

_فأين أنت أيها العاصي من هذا الوعظ عند الحديث عن الرزق؟

فأنت لا تثق في الله طرفة عين أنه سيرزقك..

▪فما هو الدليل على قولنا هذا؟

_إذا قيل له اترك الحرام، فيكون الرد:ومن أين آتي بالمال؟؟ صفات العفو كان يتحدث بها لأنها توافق هواه وكل هذا من قبيل مغالطة النفس، فنفسه تُغالطه فتُحدثه عن أنه معتمد على عفو الله ومغفرته، فيتعاون كل من نفسه الأمارة بالسوء والشيطان عليه ويُسردان له النصوص التي يُذكر فيها عفو الله ورحمته(هذا الشخص الذي لا يتوقف عن الوقوع في المعاصي ويتحدث عن عفو الله هو نفسه الشخص الذي لا يثق في موعود الله بالرزق وأن الله سبحانه الذي من أسمائه العفو الغفور الرحيم من أسمائه أيضًا الرَّزاق).

قال تعالى:

{ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)}

[آل عمران]

_الآية جمعت بين أعمال كالجبال وبين جزاء وثواب الله الذي ترتب على هذه الأعمال(هاجروا_أخرجوا من ديارهم_أُوذوا في سبيل الله _قاتلوا_قتلوا)

▪أما الجزاء فهو: لأكفرن عنهم سيئاتهم: وهذا يعني أنه بعد كل ما قدموه من أعمال كالجبال إلا أن لديهم بعض الذنوب.

_ودخولهم جنات تجري من تحتها الأنهار: هذا هو موعود الله لهم جزاء ما فعلوا

▪قال بعض السلف: من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيرًا (في دينه) ثم لا يُبالي ولا يحزن عليه.

▪هذه علامة خطر: أن يكون الإنسان مستشعر بمدى تقصيره وبعدم توبته من الذنوب التوبة النصوح ومع كل هذا فإنه لا يُبالي لماذا؟

لأن الشيطان لا يقف بالعبد عند درجة معينة من الضلال ثم يتركه بل يظل يُلازم الإنسان من معصية إلى أخرى ومن ضلال إلى ضلال إلى أن يصل به إلى مرحلة الكفر، فينزغ ويُوسوس ويُحاول الدخول من كل مدخل حتى يصل بالشخص إلى أن يكفر بالله.

_ ينبغي على الشخص الذي يعرف حال نفسه من ذنوب ومعاصي أن يُجاهد نفسه ويسعى ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يُمِدَه بمدد من عنده حتى يتخلص من هذه الأمور.

_قال تعالى: { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)}[الطور]

_قال سبحانه: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)}[المدثر]

▫سؤال للشخص الذي يعتمد على عفو الله سبحانه:

مَنْ المقصود بآيات العذاب إن كنت تزعم أن الله لن يُعذِّب أحد من المسلمين؟ العذاب في الآية لمن لم يكن يُصلي، هل الصلاة فُرِضت على المسلمين أم على الكفار ؟

▫الشاهد: أن أول سبب لدخول النار هو ترك الصلاة ..

▫سبب آخر من أسباب دخول النار :

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)}[التوبة]

_فبشرهم بعذاب أليم: لمن لا يُخرج زكاة ماله سيحمى عليه في نار جهنم ويكوى به.

_الأحاديث والآيات تتكلم عن العذاب الذي سيقع على المسلم الذي لا يصلي ولا يزكي ولا يمتثل لأوامر الله، كل هذا يُبين إلى أي مدى أفسد الإرجاء قلوب الكثير من المسلمين.

_العاصي من المسلمين سوف يدخل النار إن لم يعفو عنه الله سبحانه وتعالى

▫الشاهد من الدنيا على قضية العذاب :

-الله عز وجل عفو وغفور ورحيم ولن يُعذِّب المسلمين ويدخلهم النار،

ألا يوجد أناس في المشافي قد احترقت أجسادهم نتيجة الحوادث المختلفة؟

أليس هناك أشخاص يموتون حرقًا لأي سبب؟

ومَن هُدِم بيته عليه فمات؟

ومَن مات غريقًا في البحر وأكلته الأسماك؟

أليست هذه أنواع من العذاب ؟

فلماذا يُرينا الله سبحانه هذا العذاب في الدنيا؟

حتى إذا كان هناك مَن لا يستطيع أن يتصور كيف أن الله يعذب عباده بإحراقهم فعليه أن ينظر إلى أنواع العذاب الواقعة على العباد في الدنيا.

_عذاب الدنيا هو عبارة عن صور مُصغرة من عذاب الآخرة ، والله عز وجل يرسل هذا رسائل إلى البشر ولكن لا يعيها إلا مَن كان يفهم مقصود الله ويعلم عن الله، فسبحانه هو مَن قال:

{ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)}[الحجر]

_لابد أن يكون هناك عذاب، وعذاب شديد جدًاوالدليل هو عذاب أهل الدنيا أليس بقدر الله؟

(حريق_سرطانات_عجز_شلل_أسقام_أوجاع)أنواع من العذاب لا حصر لها بين أهل الدنيا، لابد أن نستيقظ ويكون هناك شيء من الخوف إلى جانب الرجاء، لأن مَن يُوقِع على العباد العذاب في الدنيا قادر على إيقاع العذاب عليهم في الآخرة، فلا أحد ينفي أو يستبعد عن نفسه أن يكون من المُعذَّبين في الآخرة لأن هذه قضية تجعل الإنسان يتجرأ على المعصية بسهولة سواء معاصي القلوب أو معاصي الأبدان.

وقد مر النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج على أقوام يعذبون بصنوف العذاب، حَدَّثَنَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيُّ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ:«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟»قَالَ:فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ:"إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَاعَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي عَلَيْهِ بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ بِهَا رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَا الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ يَأْخُذُهُ، فَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى "، قَالَ: قُلْتُ: " سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ

بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَيْهِ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَيْهِ إِلَى قَفَاهُ "، قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى» ، قَالَ: قُلْتُ: " سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ "، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ» ، قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: «فَاطَّلَعْتُ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهِيبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا» ، قَالَ: قُلْتُ: " مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْتُ فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ، حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: أَحْمَرَ، مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا حَجَرًا " قَالَ: «فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ وَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» ، قَالَ: قُلْتُ: «مَا هَذَا؟» ، قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ لَهُ يَحُشُّهَا، وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قُلْتُ لَهُمَا: " مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ "

مسند أحمد(٢٠٠٩٤)

_وفي الدنيا مر النبي ﷺ على قبرين من قبور المسلمين،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺبِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»

أخرجه البخاري(٢١٦)،أخرجه مسلم(٢٩٢)

-فما هي النميمة:هي الإيقاع بين اثنين وإيغار صدر كل واحد منهما تجاه الآخر،

_عذاب القبر ينتظر هذا النمام، إلى جانب عذاب الآخرة

_ فقَالَ حُذَيْفَةُ:سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ»

أخرجه مسلم(١٠٥)

_فأين المسلمون من هذه النصوص وغيرها الكثير

_يقول صالح بن أحمد بن حنبل: كثيرًا ما كان أبي يقول(اللهم سلِّم_اللهم سلِّم)

_وقال المروزي: وهو من أصحاب الإمام أحمديقول الإمام : إن الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب وإذا ذكرت الموت هان علي أمر الدنيا .

_وكان يقول: إنما هو طعام دون طعام وشراب دون شراب وإنها أيام قلائل

_هذا هو حال صالحين المتقين الفاهمين الذين فهموا وأيقنوا وعلموا قدر الدنيا، فالإمام أحمد بكل ما عنده من علم وتقوى وورع (إمام أهل السنة في زمانه) والذي دافع عن السنة وحفظها من أن تدخل عليها البدع، ومع كل هذا يقول: أن خوفه من الله عز وجل حرمه من الأكل والشراب والأيام قلائل وسنترك هذه الدنيا التي يتسارع عليها الكثير فيما لا ينفع.

٧_الاغترار بالدنيا:أسوء الاغترار :

_وهذا يعني: أن الإنسان إذا ما فُتِحَت عليه الدنيا فإنه يغتر بها وهذا هو من أسوء الاغترار لأن صاحبه ما فَهِم قول رسول الله ﷺ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» ، قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللهَ

عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّءِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ»

مسند أحمد(٣٦٧٢)

_ وكذا لم يلتفت إلى قول رسول الله ﷺ.

_ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ " ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤]

مسند أحمد(١٧٣١١)

_يغتر العبد بالدنيا وينسى هذه النصوص التي بيَّن النبي ﷺ فيها أن الدنيا ليست دار جزاء وأن العطاء ليس إحسان وأن المنع ليس غضب من الرب على الإنسان، هذا المغتر بدنياه لم يفهم مراد الله رغم كل هذا النصوص الواضحة وترك العمل للآخرة.

_السؤال الذي يطرح نفسه بعد كل هذا:

كيف يجتمع التصديق بالمعاد والتخلُّف عن العمل؟

_كيف يُصدق الشخص باليوم

الآخر(الجنة_النار_البعث_الحساب_القبر_سؤال القبر_عذابه ونعيمه)

ثم يتخلف عن العمل؟

_وهذا شبيه بسؤال آخر وهو: كيف يُصدق الناس أن هناك بعث

وحساب وعقاب ومع ذلك يُصرُّون على ارتكاب المعاصي؟

▪أسباب هذا التناقض:

١_هي ضعف العلم، نقص اليقين

_قال تعالى:

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)}

[طه]

_ضعف العلم يؤدي إلى ضعف عزيمة الإنسان، كما أن ضعف اليقين يؤدي إلى انعدام العزيمة على العمل، فلا عزيمة على العمل ولا عزيمة على الترك، فعند ترك المعصية يجد من نفسه تراخي وتهاون وتكاسل ولا يتركها بقوة، وعند إرادة العمل أيضًا لا يعمله بقوة.

٢_استيلاء الشهوة، تسويل النفس، وطول الأمل

هذه الأشياء الثلاثة هي عبارة عن مثلث خطر:

أ_فاستيلاء الشهوة : يعني أن تغلب الشهوة صاحبها فتجعله يلهث خلف إرادته لارتكاب معصية يميل إلى الوقوع فيها سواء كانت معصية بالقلب أو بالجارحة، استيلائها عليه جعلها تُسيطر على عقله فلا يستطيع أن يتخلَّص منها، وهذا أدى إلى أنه بالفعل يُصدق أن هناك آخرة وعذاب وحساب وجنة ونار وبالرغم من ذلك يقع في المعاصي(مغالطة نفس تارة_تسويف تارة_طول أمل تارة_ضعف علم ونقص يقين _وهكذا).

ب_أما تسويل النفس: فتتحدث النفس إلى صاحبها وتُبرر له أسباب الوقوع في المعصية(فليس هو آخر ولا أول مَن ارتكب هذا الفعل_الله سيغفر فهو يعلم حالك وأنك لم تكن تقصد أن تعصيه)

ج _طول الأمل: إن شاء الله نتوب _ الله غفور رحيم وسيعفو عنَّا_ الحياة مازالت أمامنا _غدًا وبعد غد).

٣_استبطاء الوعيد وغرور الشيطان :

فيُذنب الإنسان ولا يجد عقوبة لهذا الذنب فيُتبع الذنب بالذنب ولا عقاب، يُخطئ والحياة تسير به ولا معوقات بل أنها مُيسرة له أكثر من غيره،وقد يكون هذا الشخص العاصي داعي من الدُعاة فيعصي ومع ذلك يفتح الله عليه ويزيده علمًا وقبولًا وعلوًا ويجتمع حوله الناس فيعتقد أنه ليس لديه معاصي، فيرى أن ذنوبه سيغفرها الله له لاعتقاده أنها عنده قليلة وإلا لما فتح الله عليه هذا الفتح بالعلم والجمع والعلو والقبول، هذا الشخص لا يلتفت لمعاصيه لاستبطاء الوعيد(لأن الله لم يُعاقبه حتى الآن)هذا ضلال مبين.

_إياكم أن تغتروا بنعم الله عليكم في الدين وتتوقفوا عن مجاهدة أنفسكم على المعاصي.

▪والنعم التي يغتر بها أصحابها منها مَن هو لأهل الدنيا ومنها ما هو لأهل الدين :

١_وجه يخص الدنيا: فأهل الدنيا يغتروا باستبطاء الوعيد،فيعصي وتتنَّزل النعم فيزداد في المعاصي ويزداد نزول النعم.

(تفسيرهم لذلك هو أن الله غفور رحيم وهذه المعاصي لا تساوي شيء والله غني عن محاسبتنا).

٢_وجه يخص الدين: أهل الدين الذين تركوا الدنيا، لديهم معاصي أيضًا قد تكون قلبية وقد تكون باللسان، هؤلاء لا يلتفتون لجهاد أنفسهم حتى يدفعوا هذه المعاصي لماذا؟

لأنهم يرون العلو والقبول والجمع والعلم الذي يزيد يومًا بعد يوم،إذن الذنوب بسيطة ويغفرها الله إن شاء سبحانه.

_إياكم كدعاة أن تظنوا من أنفسكم خيرًا..

إذا رأيتم أن الظاهر طيب، فعسى أن يكون هذا العلم وهذا الجمع وهذا العلو فتنة وأنتم لا تشعرون، فنحن لا ندري بما سيُختم لنا بحسن خاتمة أم بسوء خاتمة الله الذي يعلم هذا، فلا تجعلوا استبطاء الوعيد سببًا في التمادي في المعاصي أو التكاسل والتهاون في مجاهدتها.

_فكما أن العلو يُعد علامة خير فهو أيضًا يمكن أن يكون استدراج من الله للعبد.

٩_ضعف الخوف من الله:

_لا يوجد إنسان لا يخاف من الله ولكن الخوف ليس بالقوة التي تزجر العبد فتمنعه عن الوقوع في المعصية، هذا الخوف ضعيف فضلًا عن أن يكون هناك خشية، فالخشية أعلى من الخوف فهي عبارة عن خوف يُصاحبه علم.

قال تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَيالله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)}[فاطر]

_أما الخوف: فإنه يكون عند الجاهل والعالم، واعلموا أن أي شيء يرغب الإنسان في نجاحه فلابد له من الخوف، فإذا أراد الوالدان أن يبرهم أبنائهما فلابد أن تكون تربيتهم لهم على أساس أن يخافوا منهم.

_الطالب في مدرسته إذا أراد النجاح فلابد أن يخاف من الرسوب في الامتحان وما سيحدث له من عواقب للأمور نتيجة هذا الرسوب.

_مَن يسعى لتأسيس شركة وإدارتها فلابد أن يكون لديه خوف شديد جدًا من الفشل لأن الفشل يجعله يخسر كل أمواله التي أدخلها في هذا المشروع، وإذا كان صاحب هذا المشروع خائفًا بهذه الطريقة فلن يستعين إلا بأفضل الوسائل(عمال_موظفين_مكان مناسب)لإعانته على إنجاح هذا المشروع، لن ينجح أي أمر في الدنيا أو في الدين بغير الخوف.

_إذن من الأسباب التي تجعل الناس يتجرؤون على ارتكاب المعاصي هو ضعف الخوف من الله عز وجل،فالخوف أصبح في القلوب ضعيفًا جدًا،حَدَّثَنِي بُكَيْرُ بْنُ فَيْرُوزَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»

«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي النَّضْرِ»**سنن الترمذي(٢٤٥٠)[حكم الألباني] : صحيح**

_والخائف لابد أن يأخُذ بالأسباب حتى ينجو من عذاب الله، أما مَن يدَّعي أنه خائفًا وهو مُصِر على أن يظل واقفًا في مكانه فلا يتقدم أي خطوة نحو إرضاء الله فإن هذا لا يُسمى خوفًا.

_عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ :

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧)}[الطور]

ظل يبكي بكاءً شديدًا وهو يُردد هذه الآية

_ عثمان ابن عفان: قرأ القرآن في ركعة واحدة،وسير السلف الصالح في الخوف من الله والورع والخشية وكيف كانت قلوبهم تتقطع من الخوف من عذاب الله شيء عظيم، ولكن مع الأسف نجد أن مَن يقرأ في هذه السير ومَن ينظر في أحوالهم يقرأ وينظر على أن هؤلاء بشر من نوع مختلف عن الموجودين الآن وليس هذا إلا نتيجة ضعف الإيمان وضعف اليقين

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك